سُوم

الجزء الأول والثانى - المجلد الرابع والثلاثون

١٩٧٨

سراي بغداد والقشلة

نجلة اسماعيل العزي

صار العراق منذ انتزاع السلطان العثماني سليمان القانوني له من ايدي الصفويين سنة ٩٤١هـ / ١٥٣٤ م ولاية شبه مستقلة اداريا يحكمه والٍ مستقل لقبه باشا أو وزير . تشمل سلطته كافة انحاء القطر ودام الحكم العثماني في العراق مايقرب من الاربعة قرون ٩٤١هـ-١٣٣٥ هـ / ١٥٣٤ - ١٩١٧ م تخللتها فترات من الحكم الفارسي . كان العراق خلال الحكم العثماني مترديا اقتصاديا واداريا بسبب التبدل السريع للولاة والفساد والاداري والحروب المستمرة والجهل والامراض وخاصة الاوبئة كالطاعون والكوليرا . والفيضانات المتكررة التي أحدثت كوارث حلت به هذا ولم تخل هذه الفترة الطويلة من ولاة اهتموا بالقطر بعض الشيء ، كسليمان باشا (١١٩٤-١٢١٧ هـ / ١٧٨٠ -١٨٠٢ م) وداود باشا (١٢٣٢-١٢٤٧ هـ ١٨١٦ - ١٨٣١ م) ، كما أراد مدحت باشا (١٢٨٥ - ١٢٨٨هـ / ١٨٦٨ - ١٨٧٢ م) أن ينهض بالعراق فنظم اموره الادارية والاقتصادية والعسكرية وقام بجملة من الاصلاحات والمشاريع الخيرية كأنشاء المعاهد الثقافية والمدارس العلمية والعسكرية والصناعية ، وترك أثار عمرانية لازال بعضها ومن أهم اثاره العمرانية شاخصاً في بغداد ومن ذلك بناية القشلة جنب السراي الذي كان مقراً للعثمانيين طوال مدة حكمهم للعراق .

والسراي كلمة تركية تعني القصر صارت فيما بعد اصطلاحاً يطلق على مقر الحكم الذي كان يعرف بدار الامارة [١] اوائل الحكم العثماني وعرف السراي ايضاً بـ (الدفترخانة) [٢]

وكذلك كانت تعرف القشلة . والقشلة لفظة تركية وهي مأخوذة من الفعل (قاشلاغ) [٣] بمعنى (أشتى) و(المشتى) وصارت لفظة القشلة فيما بعد اصطلاحاً يطلق على (ثكنة الجند) [٤] أي وقت تعسكر الجند وعدم خروجهم للحرب في فصل الشتاء .

كان مقر الحكم قبل بناء السراي في القلعة التي كانت تعرف بـ (ايج قلعة سي) اي القلعة الداخلية التي انشئت داخل اسوار بغداد الشرقية اواخر حكم الاسرة التركمانية القره قوينلو . وهي في مكان وزارة الدفاع الحالية ، اتخذها بكتاش خان والي بغداد (١٠٤١ - ١٠٤٨ هـ / ١٦٣١ - ١٦٣٨ م) مقراً له عند استيلاء الفرس بقيادة صفي قلي خان زمن الشاه عباس الكبير . وهو الذي بنى السراي بلصقها وذلك لحصانتها ومنعة أسوارها فكانت تحصيناً له . ولكن الوالي العثماني درويش خان أقام في سراي بكتاش خان [٥] سنة ١٠٤٩ هـ / ١٦٣٩ م . وقد اختلطت تسميات السراي والقلعة والقشلة في هذا الدور المبكر ، حيث ان كل بناية منها تكمل الأخرى ، ولما وضع الرحالة الفرنسي تاڤرنيه خريطة لبغداد سنة ١٠٦٢ هـ / ١٦٥١ م وضع فيها القلعة فقط باعتبارها المقر الرئيس للحكم . وكذلك لما حصل عصيان بين الجند زمن الوالي محمد باشا الخاصكي سنة ١٠٦٧ هـ / ١٦٥٦ م ، دخلوا الى السراي التي كانت تسمى ايضاً (دارالامارة) ونهبوها [٦] .

هذا ومن الطبيعي ان يرتفع شأن القلعة أيام الحروب وعدم الاستقرار ويقل شأن السراي فيها حيث يذكر الرحالة الفرنسي تيڤنو [٧] الذي زار بغداد سنة ١٠٧٤ هـ / ١٦٦٤ م ان القلعة مبنية بالحجارة البيضاء من الخارج أما داخلها فلا توجد سوى الاكواخ ، ولكن سراي

الباشا – كما يذكر – فيه اكشاك [٨] جميلة يتجلى منها الباشا منظراً بهيجاً ويستنشق هواءا نقياً .

وفي سنة ١١١٦ هـ / ١٧٠٤ م بنى الوالي حسن باشا جامعاً بازاء السراي عرف بـ (جامع السراي) ومازال في موقعه مقابل باب السراي.

عهد سليمان باشا

وأول تعمير حصل للسراي هو بعد قرن من هذا التاريخ وذلك سنة ١٢١٧ هـ / ١٨٠٢ م في زمن الوالي سليمان باشا الكبير المعروف بـ (ابو سعيد يوك سليمان) [٩] ، الذي يذكر عنه قيامه بالكثير من الاعمال العمرانية ببغداد . ولما كان السراي مجموعة من أبنية غير منتظمة بنيت على فترات لذلك فقد « هدم دار الامارة وعمرها عمارة لائقة بالوزارة » [١٠] وبقيت القلعة التحصين الرئيس للسراي . ولما توفي الوالي سليمان باشا حدثت فتنة بين العشائر والجند فهاجمت عشائر العقيل السراي واستطاعت الاستيلاء عليه لضعف تحصينه .

ويورد الرحالة بكنغهام [١١] الذي زار بغداد سنة ١٢٣٠ هـ / ١٨١٦ م وصفا للسراي بعد التعديلات التي اجراها سليمان باشا عليه فيذكر بأن السراي هو قصر الباشا .. « ويتألف من بناية واسعة وليست كبيرة تقع في الحي الشمالي الغربي غير بعيدة عن ضفة نهر دجلة تضم داخلها معظم الدوائر العامة ذات المرافق الواسعة لحاشيته واصطبل جياده وخدمه والبناية عصرية نسبياً وهي بما أضيف اليها في فترات تؤلف مجموعة كبيرة غير منتظمة لايبرز فيها جمال فن البناء » .

عهد داؤد باشا

أما اعظم الادوار التي مرّ بها سراي بغداد فقد حصلت في ولاية الوزير داؤد باشا (١٢٣١–١٢٤٧ هـ / ١٨١٧–١٨٣١ م) الذي كان يرمي للنهوض بالعراق ولما كان السراي المقر الرئيس الذي تدار منه شؤون البلاد وكان الخراب قد حلَّ في أقسام منه ، أمر بتعميره سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م [١٢] ، فهدم بابه المقابل لجامع السراي لتضعضع اركانه وانخفاضه ، واعاد تشييده وجعل عن يساره برجاً [١٣] ، وجدد أقساماً كثيرة من ابنية السراي ، واهتم بتزيينه ونقشه ، وفرشت القاعات الرئيسة بأفخر الفرش وأغنى السجاد والوسائد والستائر الحريرية وزخرفت السقوف والجدران بقطع الخشب المحفور باشكال الزخارف والمطعّم بالذهب فجاء كله بعمارته وزخرفته تحفة عظيمة لا تقدر بثمن . ولما تمت هذه التعميرات جلس فيه الوزير وتقدم الشعراء ومدحوا الوزير وأرخوا بناءه وقد باهى البغداديون بسراي يضاهي بعظمته سراي اصطنبول نفسه [١٤] ، وأمتلأ السراي بالموظفين والخدم [١٥] ، بعضهم مختص بالقهوة وتقديمها وكذلك تقديم الأشربه والحلوى وبعضهم مختص بالملابس والأخر مختص بالحريم والسلاح (السلحدار) وبالاصطبلات (ميراخور) وللبوابين رئيس (قبوجلركتخدا) وحامل أختام الباشا (المهردار) ومسؤول عن الخدم والحشم (احتشامات اغاسي وقوشجي باشاسي ومسؤول عن المطبخ والحجرات في قصر الباشا (السفرچي باشي واطه جي باشي) وكان يعقد ديوان الباشا منها كل جمعة وفي المناسبات الهامة ، ويتألف الديوان من كبار رجال الولاية وهم الكخيا واغا الانكشارية ورئيس الديوان (ديوان أفندي سي) والقاضي والمفتي ومتسلم البصرة وحاكم الحلة وماردين ، وينظر الديوان في الأمور الهامة ويعقد في حضرة الوالي أيضاً عندما يستقبل شخصية هامة أو مبعوثا من قبل السلطان .

هذا وقد سجل لنا بعض الرحّالة والمبعوثون الاوربيون [١٦] في كتاباتهم اوصافاً لمجالس الاستقبال الفخمة التي كانت تجري في عهد الوالي داؤد باشا والتي صارت تقليداً متبعاً من بعده ، فقد كان يحدد موعد حضور الزائر من قبل ، ويترجلوا عادة الزوار عند بلوغهم الفناء الخارجي للسراي حيث ينتظرهم عدد من الجند الانكشارية ثم يدلفون الى الفناء الداخلي ويمرون بين صفين من ثلثمائة كرجي يمتدان على طول الطريق المؤدي الى حجرة الاستقبال . مرتدين أزهى الملابس ومتقلدين اسلحتهم وعلى مدخل حجرة الاستقبال علقت ثلاثة ذيول للدلالة على مرتبة الوالي كباشا من الدرجة الاولى وفي صدر الحجرة يجلس الباشا ع وسائد حريرية وعن يمينه رجال ديوانه ويعلن عن دخول الزوار . ويهمّ الوالي بالوقوف لاستقبالهم ا يجلس الزوار على كراسي بعد التسليم عليه وبين الفينه والاخر يرحب بهم الباشا وتقدم لهم الحلويات في اناء ذهبي يحم خادم بيد وباليد الاخرى يمسك بملعقة من الذهب يضع فيه الحلوى في فم كل زائر وبعد ذلك توضع المناشف على ركبا كل زائر وتقدم القهوة وبعد الانتهاء منها تستبدل المناشف بأخر ثم تقدم الاشربة في كؤوس صغيرة ثمينة وبعد ذلك يصب ع ايدي الحضور ماء الورد من ابريق من فضة ويوزع العطر فيوا على لحية كل زائر وعلى شاربيه ويعطر الهواء وتمرغ الايدي ببعض العطور فينتشر في جميع ثنايا الوجه .

ولكن استقبال مبعوث السلطان أو كبار الشخصيات العثمانية

كان له مراسيم خاصة مرعيه منذ عهد الوالي حسن باشا (١٠٠٦-١٠٠٩هـ / ١٥٩٢-١٥٩٧ م)[١٧] فقد كانت العادة أن لايدخل مبعوث السلطان بغداد مباشرة وانما ينزل في ضاحية الاعظمية حيث يبيت ليلته فيها وفي اليوم الذي يليه يدخل المدينة في احتفال مهيب أعدّ له من قبل في سراي بغداد بأمر من الوزير يراعى فيه اظهار الاحترام الزائد والهيبة للزائر.

أما الأبنية التي كان يحتويها السراي أيام داؤد باشا . فقد كانت دواوين الباشا حيث يعقد مجالسه في قاعاته الرئيسة التي ذكرناها آنفاً والتي اهتم بزخرفتها وفرشها ، كما كان يضم دوائر عامة ومقر نائبة (الكتخدا) كما يضم مباني تخص منها مساكن له وقصور حريمه واصطبل لجياده وحداقته ، أما قصر داود باشا الخاص به فقد كان بلصق السراي ومن المرجح انه كان مكان القشلة الحالية قبل بنائها . هذا بالاضافة الى الاحتفاظ بالمباني التي سبقت عهد داؤد باشا كقصر سليمان باشا وسراي عائشة خانم وخزانة نقود[١٨] .

العهد الأخير للسراي

ولكن كتب لهذا السراي الجميل الانهيار السريع في الفتنة التي حدثت بعد عزل داؤد باشا حيث تعرض للنهب والحرق فقد اجمت عشائر العقيل السراي وأحرقت بابه واضرموا النار في القاعة الكبرى وتسربت النار من غرفة الى اخرى وتهدم القسم الاعظم ا بقي عامراً من السراي واحترقت خزائن الباشا التي لم تكن تقدر ثمن كما احترقت ادوات واثاث قصره .

وظل السراي بعد ذلك مدة طويلة على حال مؤسف من التردي والاهمال وذلك للفوضى والاضطراب اللذان عما بغداد بعد عزل داود باشا ولذلك لما زار المساح الانكليزي جيمس فيلكس جونس[١٩] بغداد سنة ١٢٧١ هـ / ١٨٥٧ م . ووضع خارطة مفصلة لمدينة بغداد حدد فيها موضع القشلة والسراي والحرم[٢٠] شكل (١)] فقط ولم يتطرق الى وصفه تفصيلاً حيث يقرن ذكر القشلة بالجسر والقشلة هي ثكنة الجنود ، أما السراي فهو دوائر الحكومة والقصر ، والحرم وهي الاقسام الخاصة[٢١] بسكنى النساء .

السراي والقشلة

أما ما بقي قائما من أبنية السراي فيعود الى زمن الوالي نامق باشا (١٢٦٨-١٢٦٩ هـ / ١٨٥١-١٨٥٢ م) في الفترة الاولى التي حكم فيها ببغداد وكان عسكرياً وادارياً حيث عين لمنصب مشير العراق والحجاز اضافة الى ولاية بغداد[٢٢] ويؤثر عنه تشييد العديد من الأبنية ببغداد منها السراي والقشلة فقد جدد السراي بعد الخراب الذي لحقه وتذكر المصادر انه هو الذي بنى القشلة ، ولكنني ارجح أن بناء القشلة كان قد تم في الفترة الاولى لتوليه بغداد فقد وضعها المساح الانكليزي فيلكس جونس في خريطة بغداد كما ذكرنا آنفاً لذلك ارى ان القشلة كانت قد بنيت في الفترة الواقعة مابين عزل داؤد باشا وزيارة فيلكس جونس وتنحصر فيما بين (١٢٤٧-١٢٧٠ هـ ١٨١٦-١٨٥٤ م) وبالضبط في ولاية نامق باشا سنة ١٢٦٨-١٢٦٩ هـ ١٨٥١ - ١٨٥٢ م . وبناها من طابق واحد فقط ، وعرفت القشلة بأسم قشلة البيادة (ثكنة الجنود المشاة[٢٣] وبعد ذلك في عهد الوالي مدحت باشا (١٢٨٥-١٢٨٨ هـ / ١٨٦٨ - ١٨٧٢ م) الذي اكمل بناء القشلة وبنى طابقاً ثانياً لها وهو الذي أمر بنقض سور بغداد الشرقية سنة ١٢٨٧ هـ / ١٨٧٠ م لاستعمال آجره باعمال التعمير الجارية في بنايتي السراي والقشلة ، كما وضع ساعة وسط ساحتها لايقاض الجنود سنة ١٢٨٥ هـ / ١٨٦٨ م[٢٤] وضعها على برج عالي ومازالت قائمة ولم يجدد فيها سوى قمتها التي كانت قد سقطت .

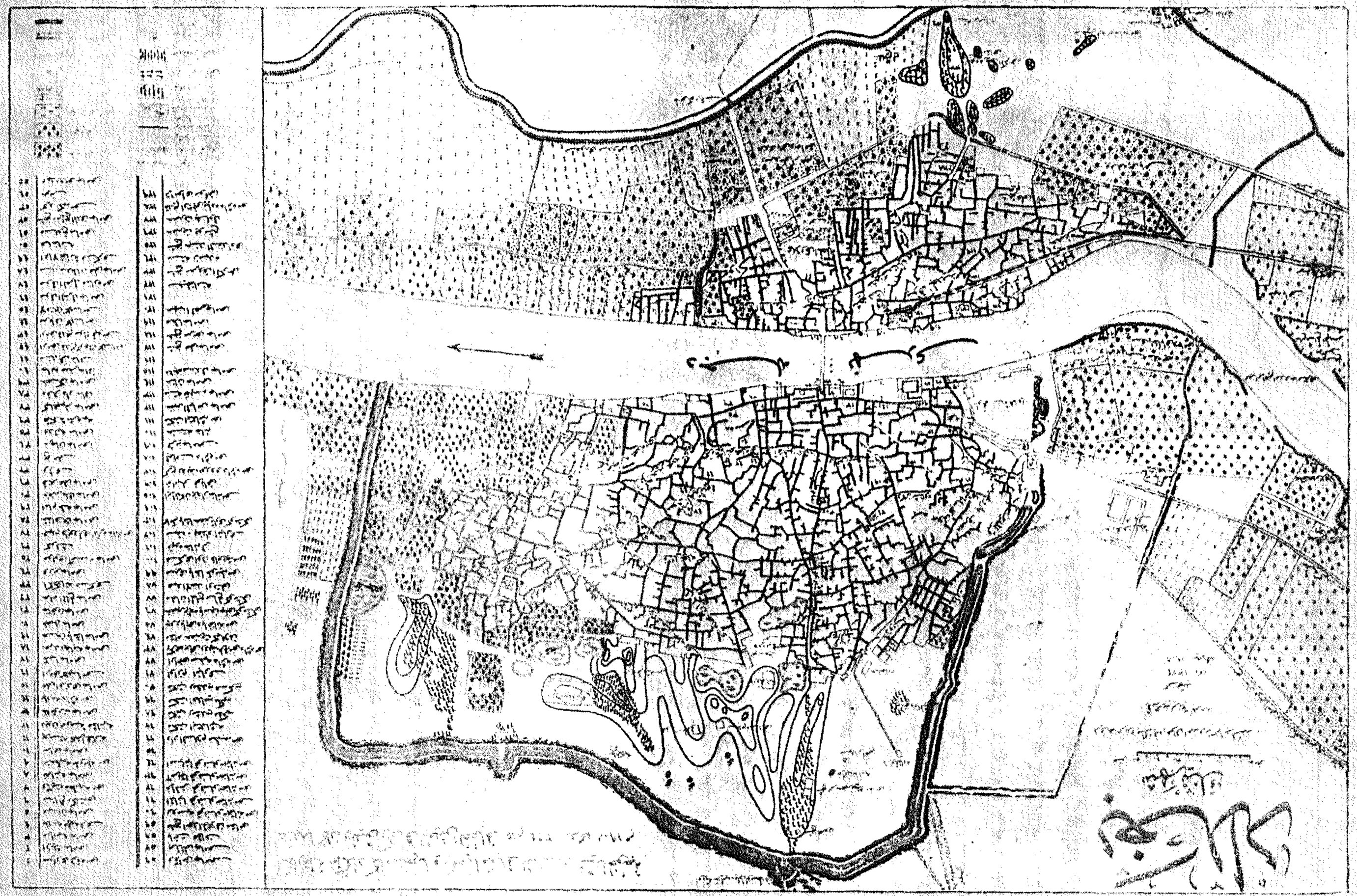

وكان آخر من زار السراي والقشلة من الرحالة هو المبعوث الاميركي وليم فوك [٢٥] سنة ١٢٨٩هـ /١٨٧٤ م فذكر بان الوالي لم يعد يسكن داخل السراي وانما مسكنه في قصر انيق يبعد ميلين شمال السراي وهو اليوم دار التمريض التابعة للمستشفى الجمهوري، وذكر ايضاً ان السراي لم يكن فخماً وانما ذا موقع بديع على شاطيء دجلة حيث يرسو زورق الباشا أمامه . كما زار القشلة التي ذكر انها ثكنات للجند مكونة من بناء ضخم يلاصق السراي ويستوعب عدة الاف من الجنود .

هذا وقد اتخذ بعض الولاة المتأخرين القسم الغربي من السراي مسكناً لهم وآخر من سكنه كان رجب باشا مشير العراق والحجاز سنة (١٣٢٠-١٣٢٩ هـ / ١٩٠٣-١٩٠٨) وعرف قصره بالشيرية الذي اتخذ بلاطاً ملكياً في عهد الحكومة العراقية ولقدمه وتسلط الماء عليه سقط وبيعت انقاضه الى الناس [٢٦] . كما كان فيه مسجد صغير تهدم أيام الاحتلال البريطاني وكان يصلي في هذا المسجد مأمور الحكومة وكان فيه ايضاً قبر ينسب الى السيد علي بن الامام موسى الكاظم [٢٧] .

أما آخر التعميرات التي حصلت لبنايتي القشلة والسراي فقد اكمل المشير فوزي بناء بعض أقسام الطابق الثاني للقشلة أما السراي فلم يكن شيئاً يذكر حين وضع الخوجة خريطة لبغداد سنة ١٣٢٦ هـ / ١٩٠٨ حيث يذكر جامع السراي فقط ويترك المنطقة التي يشغلها السراي والقشلة بدون رقم [٢٨] . [شكل ٢] ولكن اخر تجديد حصل للسراي هو سنة ١٣٢٧ هـ ١٩٠٩ م وعلى مدخله المعروف بالطاق الذي سجل هذا التاريخ على واجهته والذي ينسب تجديده الى ناظم باشا [٢٩] اي مابين سنتي ١٣٢٨-١٣٢٩ هـ / ١٩١٠-١٩١١ م) ولكن التاريخ المسجل عليه هو سنة ١٣٢٧ هـ / ١٩٠٩ م داخل زوج من طغراء [٣٠] السلطان محمد رشاد خان الخامس ١٣٢٧-١٣٣٦هـ ١٩٠٩-١٩١٨م شكل ٣ وهذا التجديد تم على المدخل المعروف بالطاق اوالايوان وهو نفس المدخل القديم الاصلي الذي كان قد جدده داود باشا سنة ١٢٣٦ هـ / ١٨٢٠ م وهو المدخل المقابل لجامع السراي ، وبني بناءاً ضخماً مرتفعاً ورصع بالمعدن الأصفر .

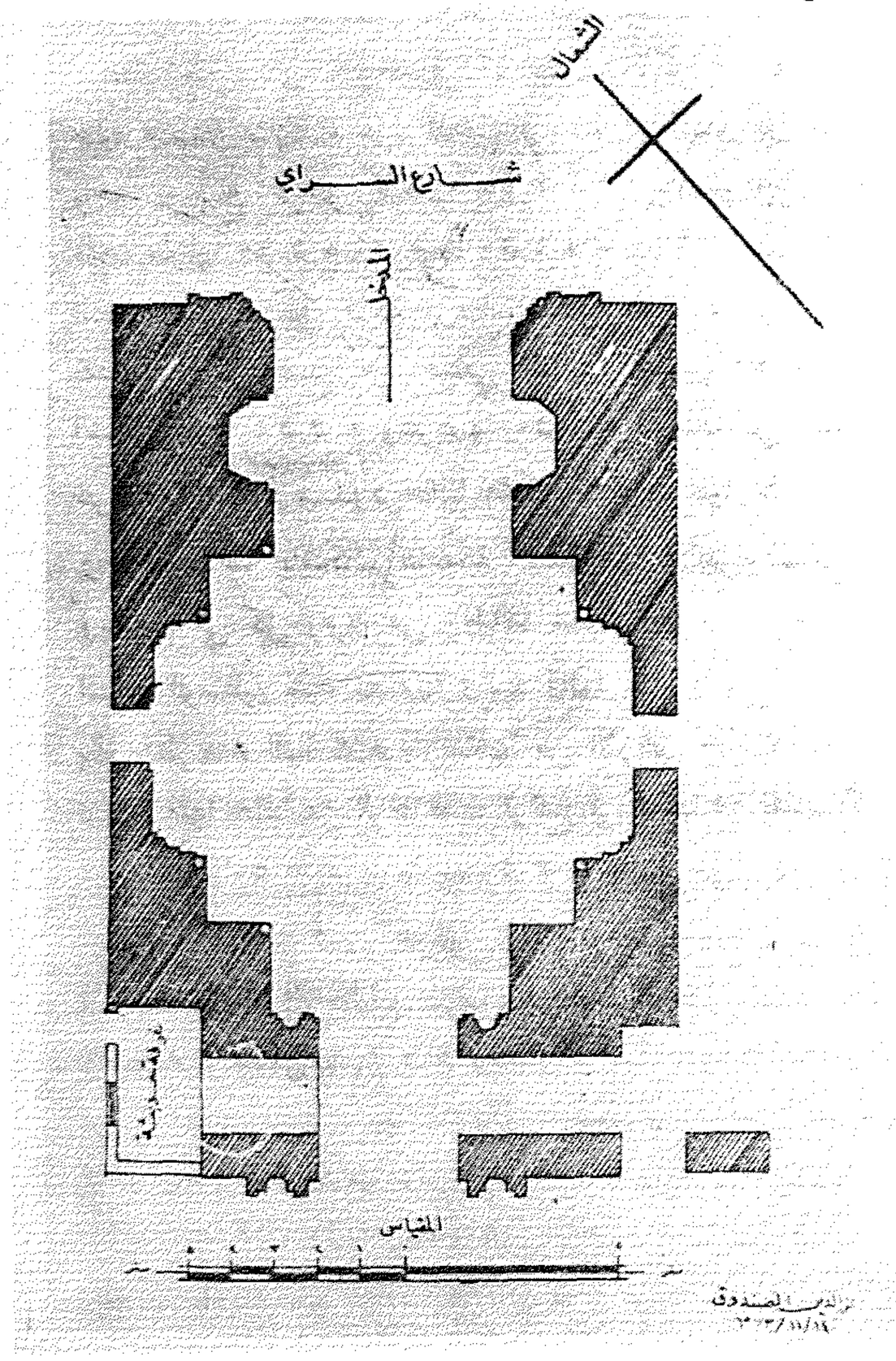

٤

٣

وما تبقى من بنايتي السراي والقشلة هو مدخل السراي المعروف بـ (الايوان) أو (الطاق) والقشلة كلها في بغداد جانب الرصافة محلة السراي . تشغل بنايتي السراي والقشلة مساحة مستطيلة (٢٥٠× ٥٠ م) تمتد على الضفة الشرقية لنهر دجلة جنوب وزارة الدفاع في محلة السراي مقابل جامع السراي وكانت تشغل أبنية السراي وزارة التربية سابقاً ومديرية الشرطة العامة ووزارة الداخلية ومركز محافظة بغداد اليوم ويلصقها القشلة التي كانت وزارة المالية سابقاً .

بوابـة السراي :

ما تبقى من أبنية السراي بوابته المعروفة بـ (ايوان السراي) او (الطاق) - وهي بوابة مبنية بالآجر بشكل برج مربع طول ضلعه ٢١ م (شكل ٤) مكونة من ثلاثة أقسام . قسم أمامي هو المدخل ويحتل الضلع الشمالي الشرقي وهو شكل قبو مستطيل الشكل . طول ضلعه ٦م وعرضه ٦,٥ م يسقفه عقد مدبب يبلغ ارتفاعه ٨ م زخرف باطنه بالاشكال الزخرفية المنفذه بالأجر عناصرها الهندسية والزهرية البارزة والمحفورة طعمت هذه الزخارف بأنصاف الكرات النحاسية [انظر شكل (٥)] ويوجد في كل جدار على كل جانب من جانبيه حنيةٌ مضلعة بثلاثة وجوه تدخل في سمت الجدار الى عمق متر واحد ، يبلغ عرض فتحتها ٢,١٠ م ، يتصدر ايوان المدخل فتحه طولها ٥,٥٠ م وعرضها ١,٥٠ م تؤدي الى القسم الثاني من البوابة الذي بشكل قاعة مربعة الشكل طول ضلعها ٨,٥٠ م يفتح في كل ضلع من ضلعي القاعة الجانبيين حنيةٌ مستطيلة الشكل طولها ٥.٥٠ م وعرضها ١.٥٠ م يتوسط كل حنيه باب عرضه ١,٣٠ م مسدود حالياً (شكل ٦) يتوجها عقد مدبب زخرف باطنه باشكال هندسية منفذة على الآجر (شكل ٧) ويندمج في كل زاوية من زواياها عمود آجري ، وقد غطيت القاعة الوسطية بقبة نصف كروية قائمة مباشرة على الجدران . يبلغ قطر هذه القبة ٨ م وارتفاعها من الارض حتى قمتها ١٦ م ترك باطنها خالياً من الزخرفة ، ترتفع في قمتها قبة نصف كروية يبلغ قطرها ٣.٥ م وارتفاعها ٣.٥ م قائمة على رقبة اسطوانية ارتفاعها ١,٥ م تدور حولها نوافذ عددها ثمانية تدخل الضوء الى داخل القاعة الوسطية زخرف باطن هذه القبة (المنور) بالزخارف الهندسية (شكل ٨) هذا وقد زخرفت زوايا القاعة الوسطية من الداخل بعقود مدببة مطّولة مقسمة الى حنايا مدببة مطولة تضم داخلها مقرنصات مركبة تنزل منها دلايات (الاشكال (٩) . (١٠) . (١١) وكلها منفذة على الآجر . تؤدي هذه القاعـة الوسطية الى القسم الثالث من البوابة وهو بشكل مجاز معترض

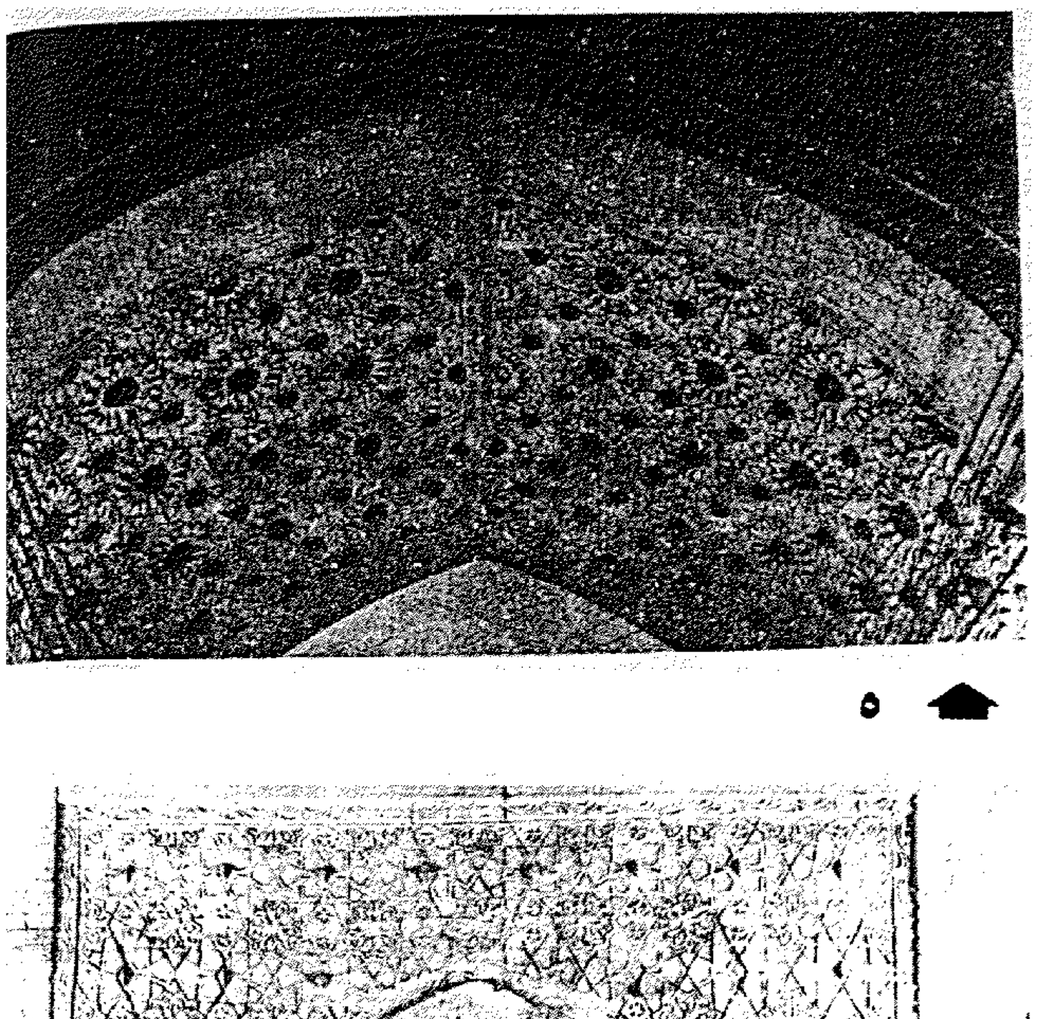

٥

٦

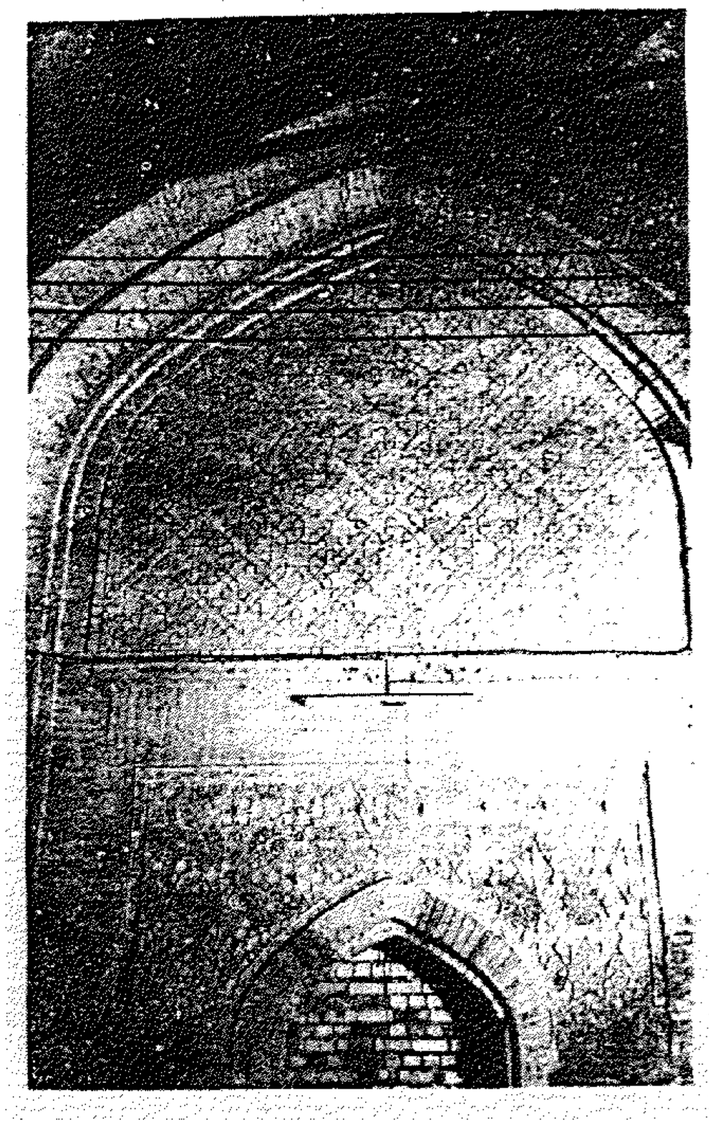

٧

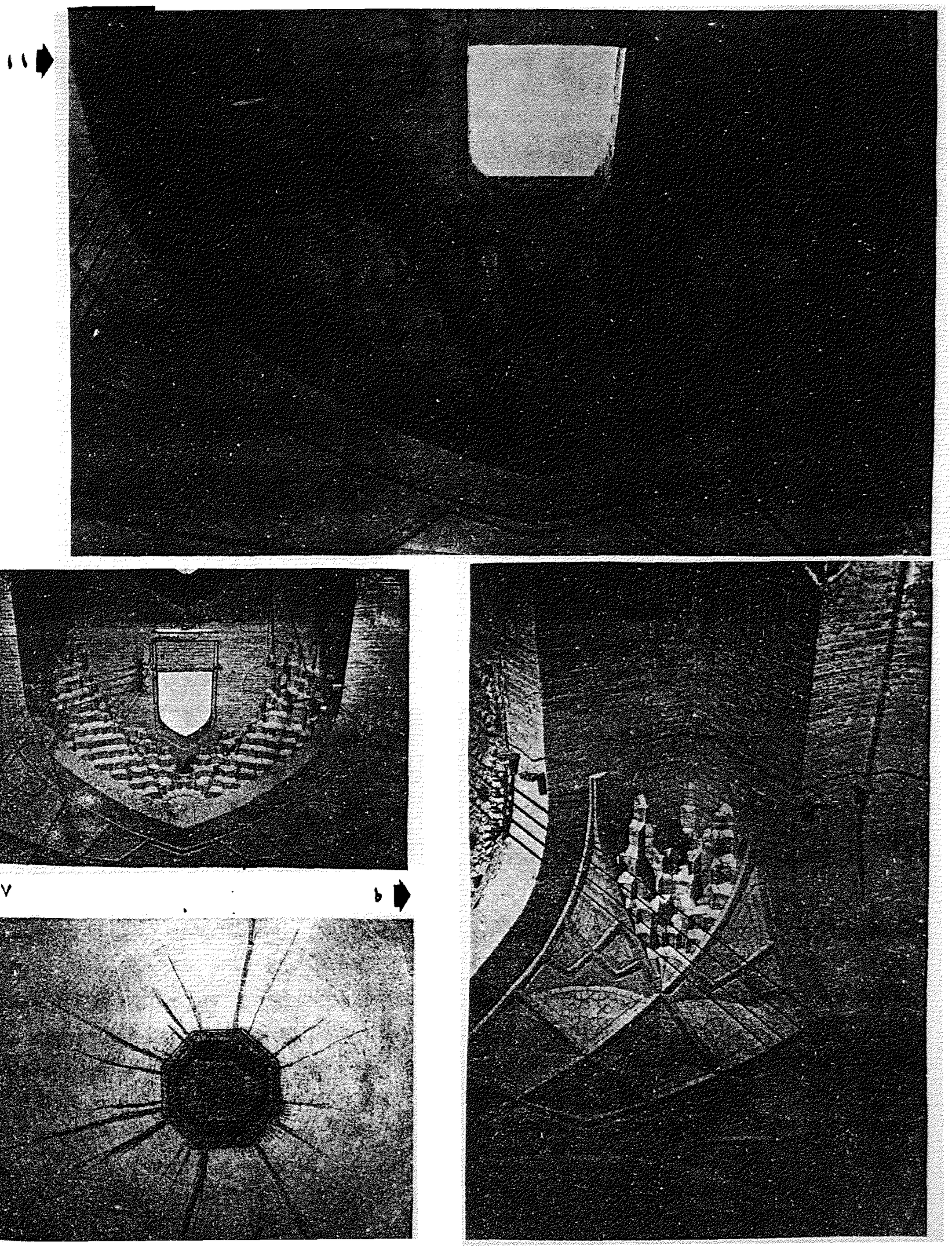

١١

١٠

٧

٩

مستطيل الشكل طوله ٤ م وعرضه ٣ م من طابقين يفتح الطابق الثاني منه على القاعة الوسطية بنافذة مستطيلة يتوجها عقد مدبب [الشكل (١٢)] كما يفتح ايضاً على الساحة الداخلية للسراي بنافذة مستطيلة أخرى ، ويتصل هذا المجاز بطابقيه في ضلعه الجنوبي بأقسام من بناية السراي التي هي اليوم مركز محافظة بغداد التي تتصل بدورها ببناية القشلة (وزارة المالية سابقاً) .

أما واجهتا البوابة فمتشابهتان مع اختلاف بسيط ، وقد جعلت الواجهة الشرقية المطلة على الشارع [شكل (١٣)] والمقابلة للجامع بشكل اطار كبير طوله ١٣.٥ م وارتفاعه ١١.٥ م تكتنفه حشوتان مستطيلتان يعلو كل واحدة فيبلغ الارتفاع الكلي ١٣.٥ م والقبة كروية صغيرة صماء قائمة على رقبة اسطوانية. ويتوسط الواجهه فتحة المدخل التي عرضها ٥.٥ م وارتفاعها ٨ م تتوجها عقود منفرجة مدببة الرأس متتالية بشكل عقدمقعر يليه عقد محدب يحيطها اطار مستطيل يضم حشواً وسطه زخارف هندسية الاشكال (١٣ . ١٤)

ووضع في خاصرتي العقد زوج من الطغراء في كل جهة واحدة داخل اطار زخرفي وهذه هي طغراء السلطان محمد رشاد الخامس واسفلها تاريخ سنة ١٣٢٧هـ/١٩٠٩م انظر شكل

(١٥) يحف بالاطار المستطيل حشوتان مستطيلتان ترتفعان بارتفاع اطار الباب.

يتوج كل حشوة عقد مدبب بينما ترك باطنهاخالياً من الزخرفة وفوق كل حشوة ترتفع الى علو ٢ م قبة كروية صغيرة صماء قائمة على رقبة اسطوانية تدور حولها طاقات صماء .

أما الواجهة الجنوبية (الشكل١٦)(وهي الواجهة الداخلية للبوابة والتي تفتح على الساحة الداخلية فمكونة من طابقين يتوسط الطابق الأول فتحة الباب مربعة الشكل طول ضلعها ٥.٥٠ م يتوجها عقد مدبب تزين خاصرتهزخارف آجرية ذات عناصر نجمية . ويعلو هذا الباب الطابق الثاني الذي يفتح على الساحة بشكل نافذة مستطيلة طولها ٣.٥٠م وعرضها ٢.٥٠م تقوم على اعمدة خشبية مضلعة ذات تيجان خشبية مقرنصة ترتفع فوقها توابيل مدرجة خشبية ايضا وتحف بهذه الواجهة حشوتان مستطيلتان يتوجهما عقد مدبب وزينت بواطنها بالاشكال الزخرفية المنفذة بتغاير وضعية الطابوق وفي اسفلها طاقتان تدخلان في سمت الجدار لوضع ادوات الاضاءة زينت بواطنهما بالمقرنصات المركبة . هذا وتؤدي هذه البوابة الى ساحة داخلية تمتد حتى ضفة النهر حيث وضعت لها مسناة . ويتصل ضلع البوابة الشرقي بابنية السراي المكونة من سلسلة من الغرف من طابقين يتصدرها في

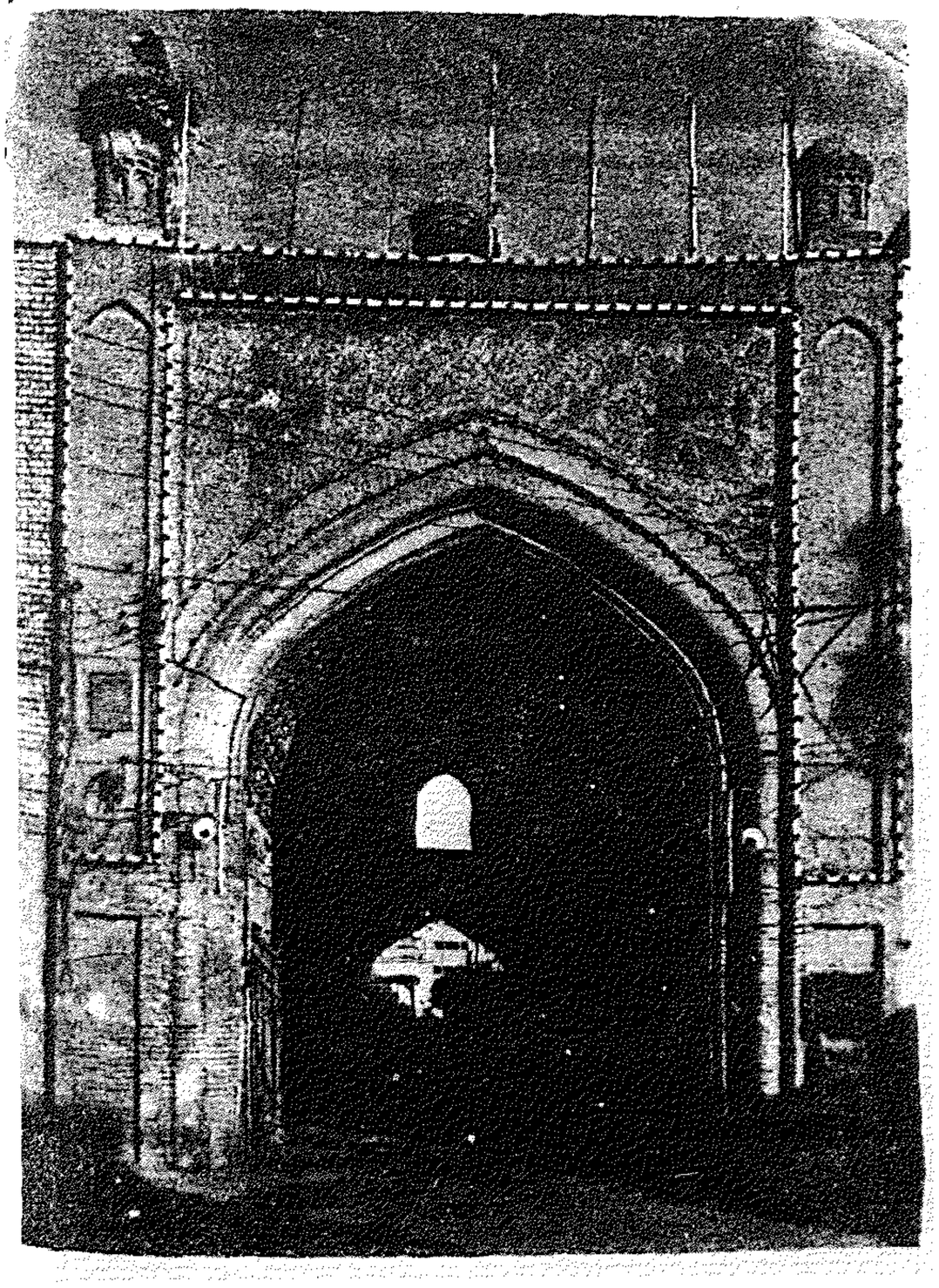

١٢

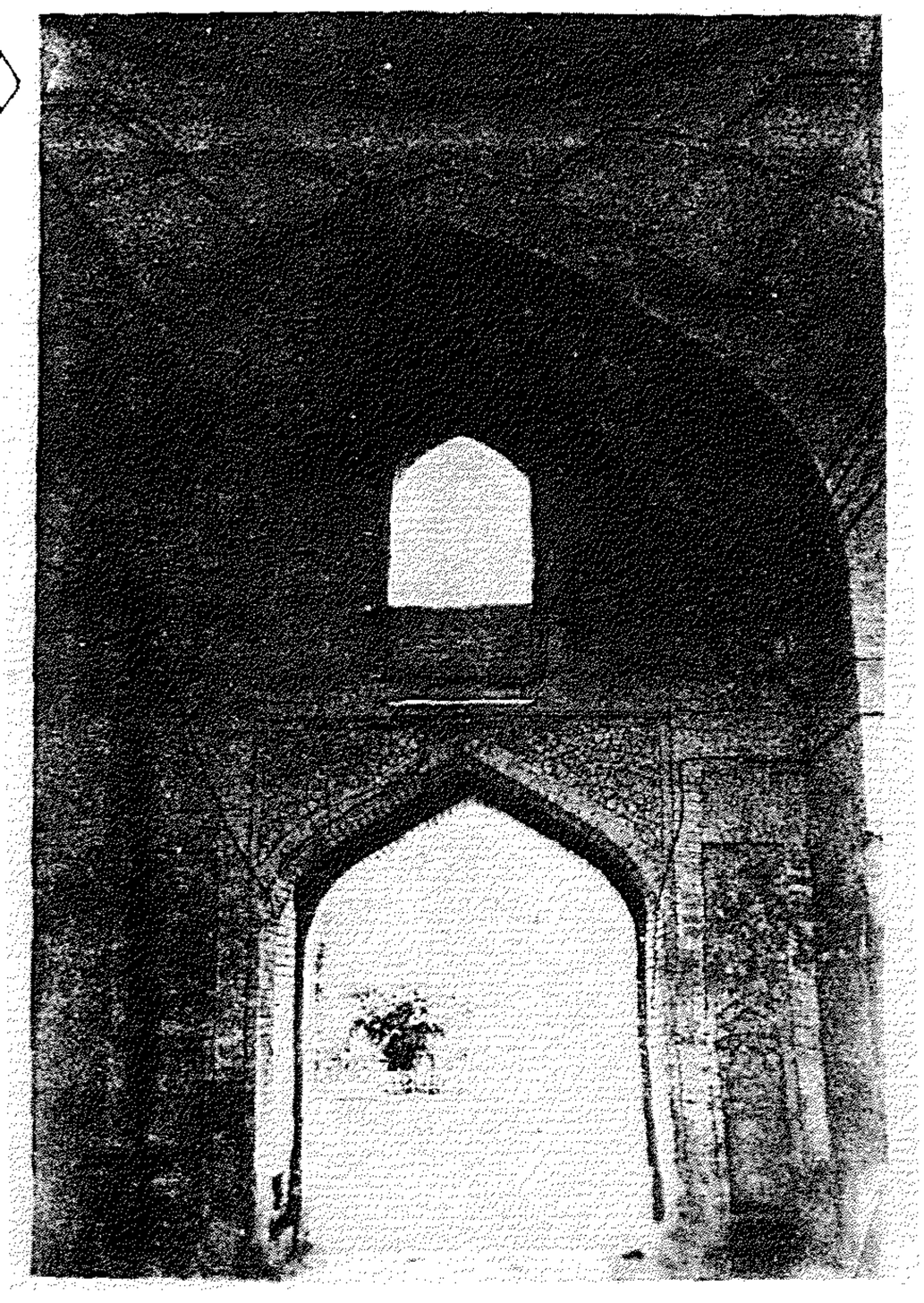

١٣

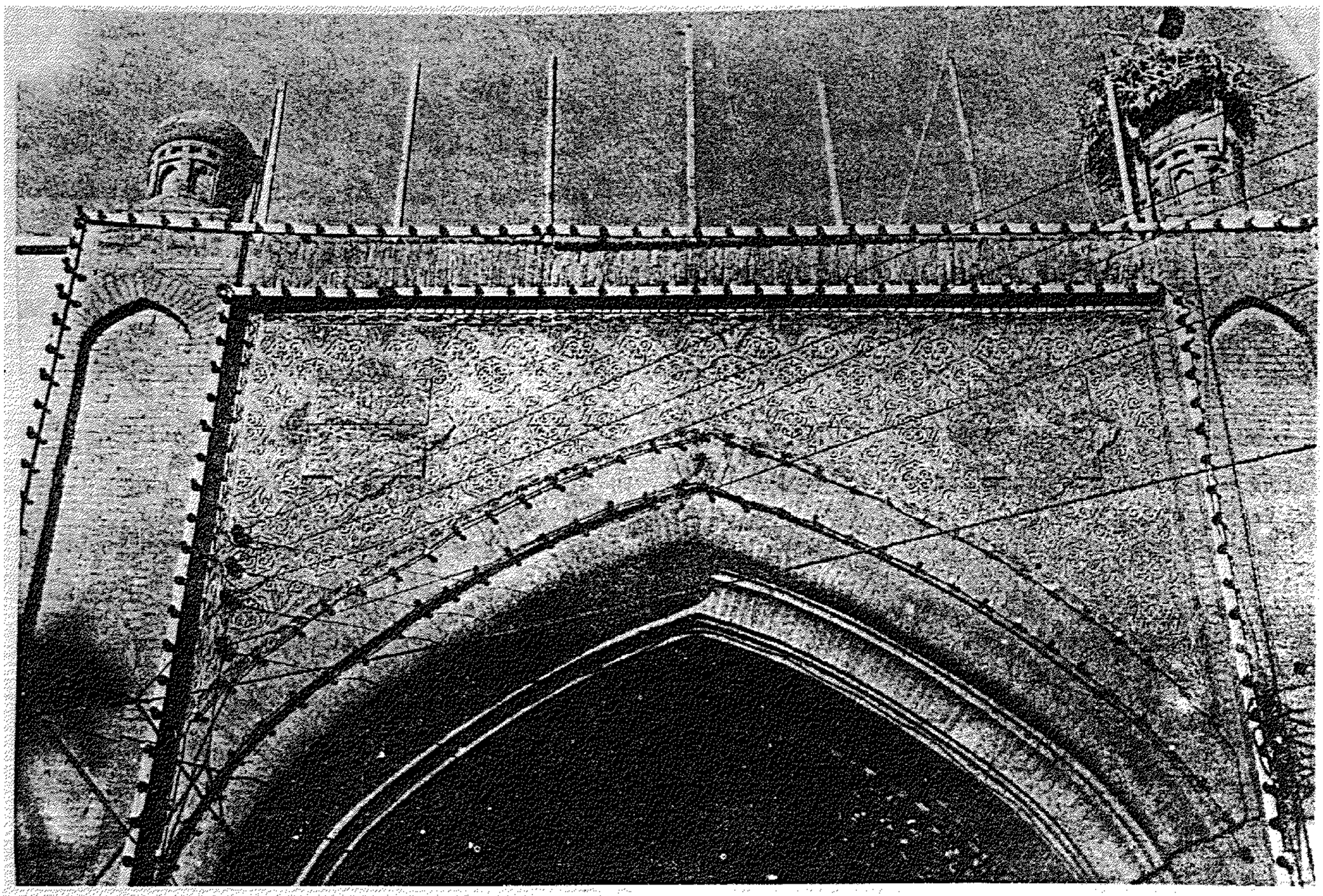

١٤

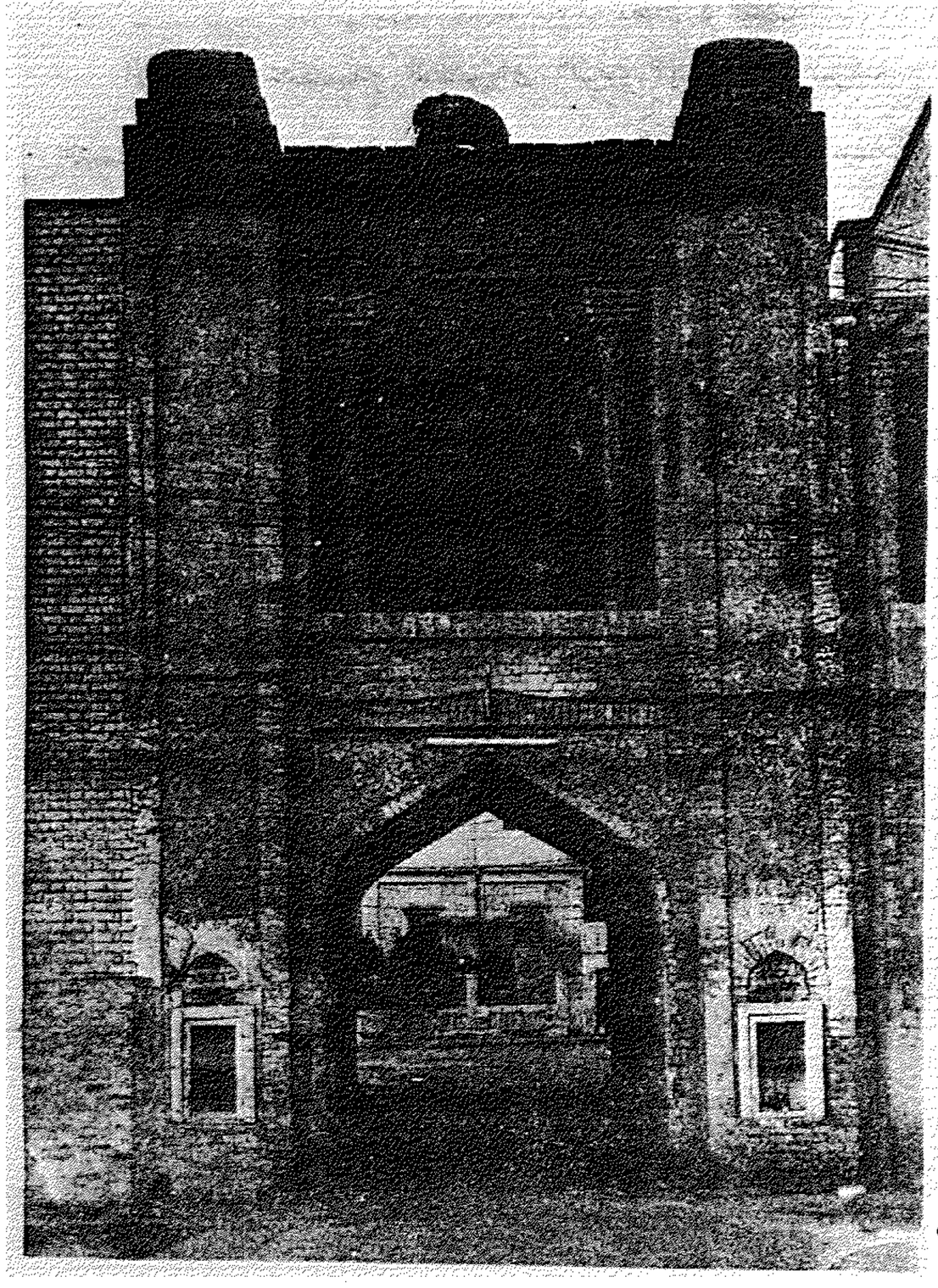

١٦

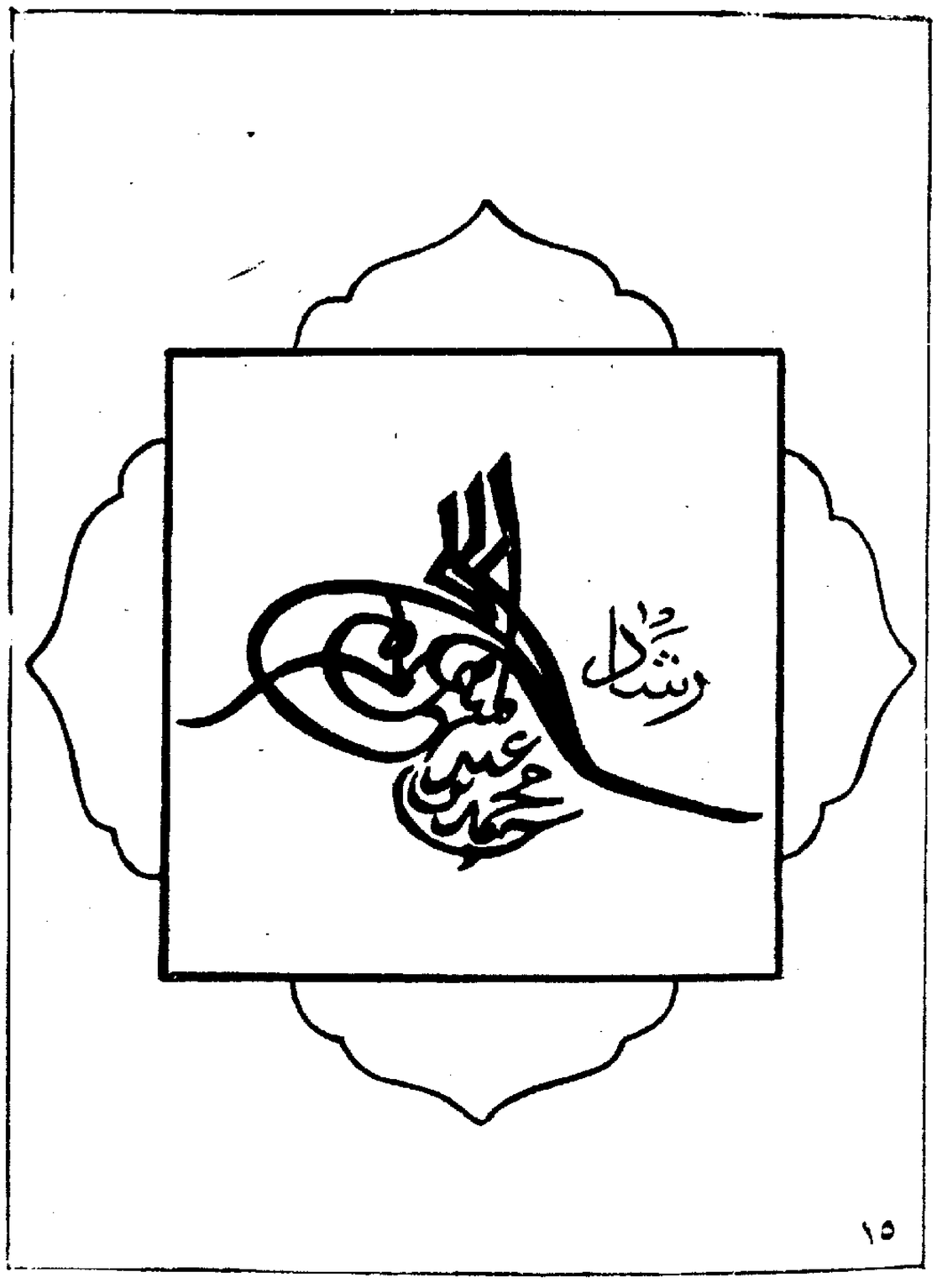

١٥

الطابق الأول مجاز يفتح على الساحة الداخلية بسلسلة من العقود نصف الدائرية القائمة على دعامات مربعة اما في الطابق الثاني فيتصدر الغرف مجاز أيضاً لكنه يفتح على الساحة الداخلية بسلسلة من الاعمدة الخشبية المضلعة ذات التيجان المقرنصة ، وتمتد هذه الأبنية الى ان تتصل ببناية القشلة .

القشلـة

وتتصـل ببنايـة السراي مـن الـضلع الجنـوبـي مكونـة بنايـة مستطيلـة تتألـف من طابقين تتوسطها ساحـة داخلية تتصل بساحة السراي وتمتد الى ضفة النهر حيث تتصل بها مسناة السراي ايضاً . والقشلة مبنية بالآجر ومطلية بالجص ، يكون مدخلها الرئيس من وسط الضلع الشرقي ، ولها مدخل آخر وسط الضلع الجنوبي مقابل بناية المحاكم ودعمت هذه البناية من الداخل والخارج بالابراج موزعة على مسافات متساوية ترتفع هذه الأبراج الى طابق واحد فقط .

والابراج الداخلية [الشكل ١٧] نصـف اسطوانية مندمجة بالجـدران تعلـوها شرفـات مسننـة بارزة تحصـر بينهـا حنايا وهـذه الأبـراج تتصـدر الـرواق الـذي يتـقدم الغـرف في الطـابق الأسفـل والـذي يفتـح عـلى الساحـة الداخليـة حيـث يقـوم هـذا الـرواق عـلى هـذه السلسلـة مـن الأبـراج أمـا الأبـراج الـخارجيـة فمستطيـلة الشكـل تتوجها شرفات مسننة بارزة مستطيلة الشكل عقدت بينها حنايا مستطيلة ايضاً ، وترتفع هذه الابراج الى طابق واحد ، أما الطابق الثاني فهو بشكل سلسلة يتصدرها رواق مسقوف بسقف مسطح يفتح على الساحة الداخلية بسلسلة من النوافذ ، ومن الخارج تفتح الغرف على الشارع بسلسة من النوافذ المستطيلة .

هذا ويتوسط الساحة الداخلية المطلة على النهر برج [الشكل ١٨] وضعت في أعـلاه ساعـة بني البرج من الآجر أيضـاً الخـالي من الطلاء يبلغ ارتفاعه ٢٣ م يقوم على قاعدة مستطيلة تبرز قمتها بشكل طبقات من الكوابيل المدرجة ترتفع فوقها بدن مستطيل ومزين بنوافذ موزعة على البدن بشكل مجموعات مكونة من أربع نوافذ للاضاءة ، وتبرز في أعلى البدن قاعدة تحملها طُنف وكوابيل متدرجة وفوق هذه القاعدة وضعت ساعة ذات أربع وجوه تعلوها قمة مكعبة الشكل في كل وجه نافذة يتوجها عقد نصف دائري ، يعلوها ذروة القمة بشكل هرم ناقص نصبت اعلاه علامة للاتجاهات الجغرافية والرياح .

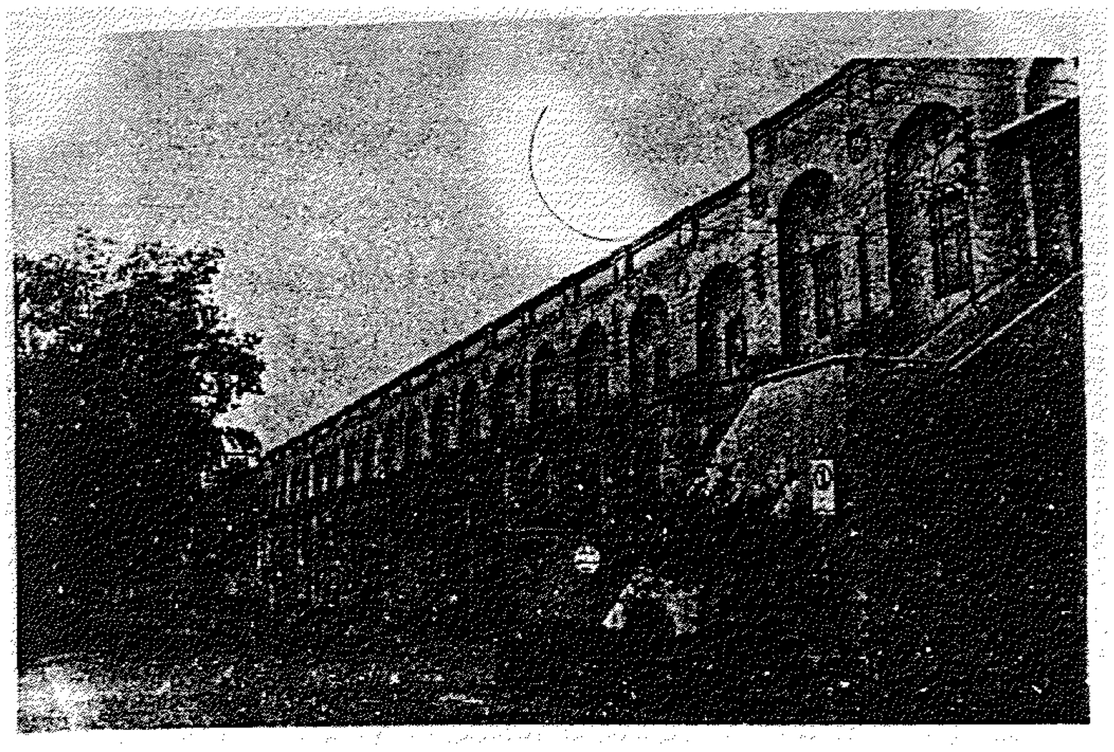

١٧

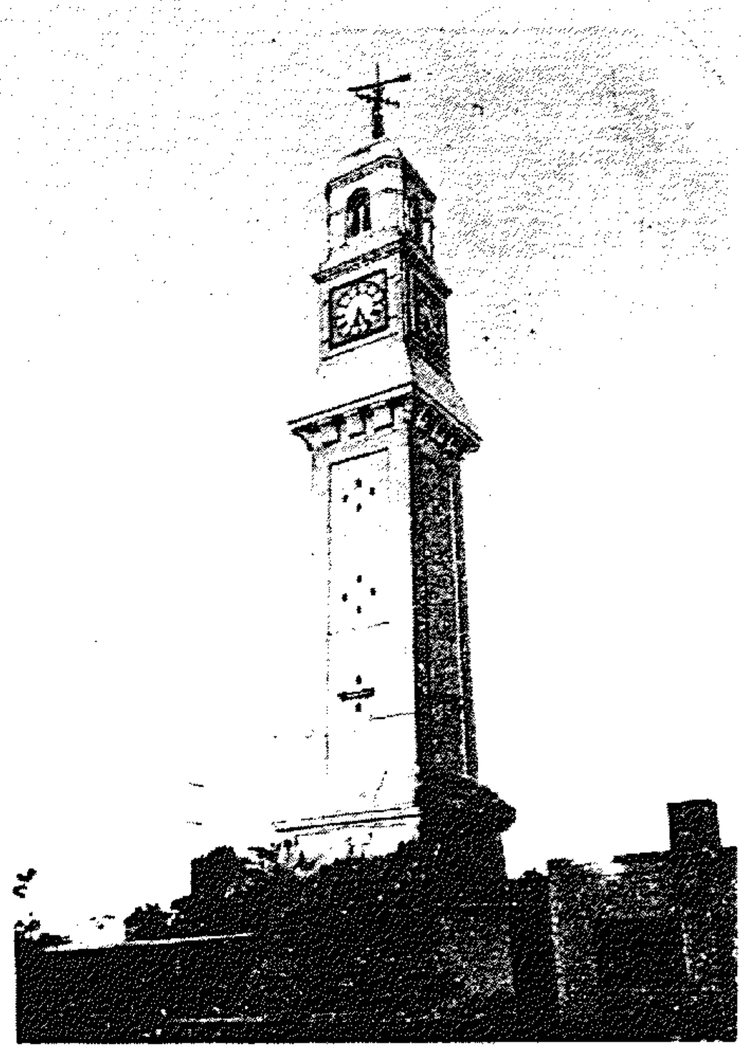

١٨

١٩

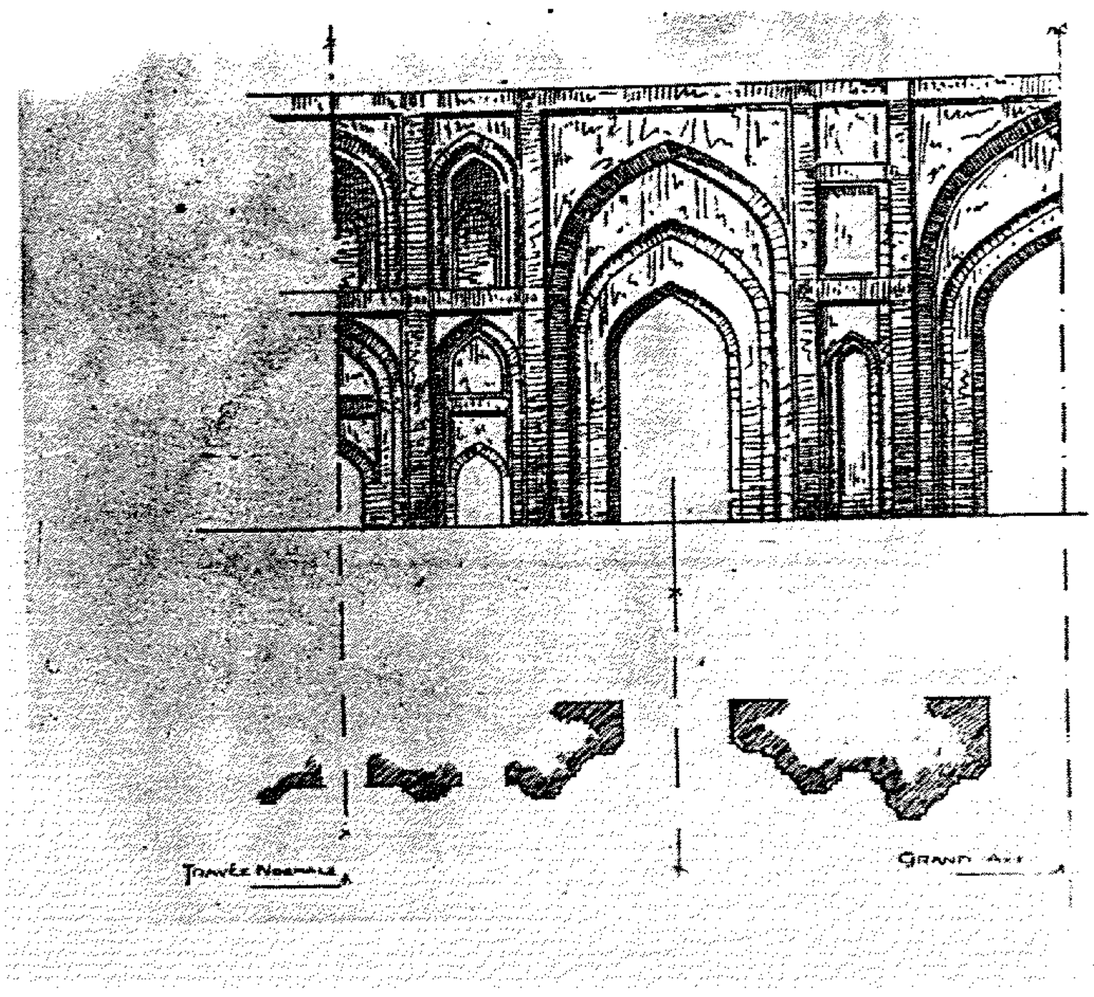

الطراز الفني والعماري:

على ضوء دراسة هاتين البنايتين يمكن استنتاج طرازها المعماري . فهي مكونة من امتزاج العناصر المحلية البغدادية بالعناصر المستوردة من خارج القطر فمادة البناء وهي الآجر هي مادة عراقية صرفة سهلة الاستعمال للبناء وللزخرفة ، أما شكل واجهة البوابة خاصة العقود المتعاقبة المحدبة والمقعرة والحشوات الجانبية والاطار المحيط بها هي اعادة للطرز العمارية للبوابات [شكل ١٩] . التي كانت سائدة في بغداد كالمدرسة المستنصرية والمرجانية والقصر العباسي . [شكل ٢٠] أما الايوان فقد كان طرازاً عراقياً شائعاً في الأبنية العراقية وذلك لملائمته جو العراق . واستعمل هنا تقليداً لايوان دار القرآن التابع للمدرسة المستنصرية وايوان القصر العباسي (المدرسة الشرابية) . [شكل ٢١] ولكنه يختلف عنهما بالتطعيم بالنحاس وهو تقليد بيزنطي في تطعيم زخارف السقف ولم اختلفت المادة . أما القبة التي تعلو ذروتها قبة صغيرة تجلب الضوء الى داخل القاعة (المنور) فهي تقليد بيزنطي ايضاً عرف في تركيا وشاع استعماله في الابنية العراقية في العصر العثماني وذلك لملائمة جو العراق ، ولكن زخرفة بواطن القبة بالمقرنصات الاجرية العراقية (وهي المقرنصات المركبة والدلايات المعروفة في اروقة القصر العباسي) ، تدل على خلط المعمار فكانت نتيجة ذلك جمالاً عمارياً وفنياً رائعاً . وكذلك فان استعمال الزخارف الآجرية اما بالحفر عليها او جعلها بارزة أو تغيير وضعية قطع الآجر مكونة اشكالاً هندسية هو تقليد اتبع في العمائر العراقية الاسلامية كالمدرسة المستنصرية والقصر العباسي والمدرسة المرجانية .

وبذلك تكون هذه البناية مزيجاً من تأثيرات محلية عراقية وتأثيرات تركية ذات أصل بيزنطي روماني اكسبها جمالاً ، وقد ساد هذا الطراز فيما بعد في معظم بنايات بغداد بغض النظر عن كونها مساجد أو بيوت أو دور أو أضرحة فهذه البناية هي بناية ادارية رسمية وعسكرية تمثل العمارة العثمانية في العراق ، وهذا الطراز اكسب الابنية البغدادية المشيدة في العصر العثماني طرازاً فريداً لعبت فيه البيئة والحضارة القديمة والخبرات المحلية دوراً كبيراً .

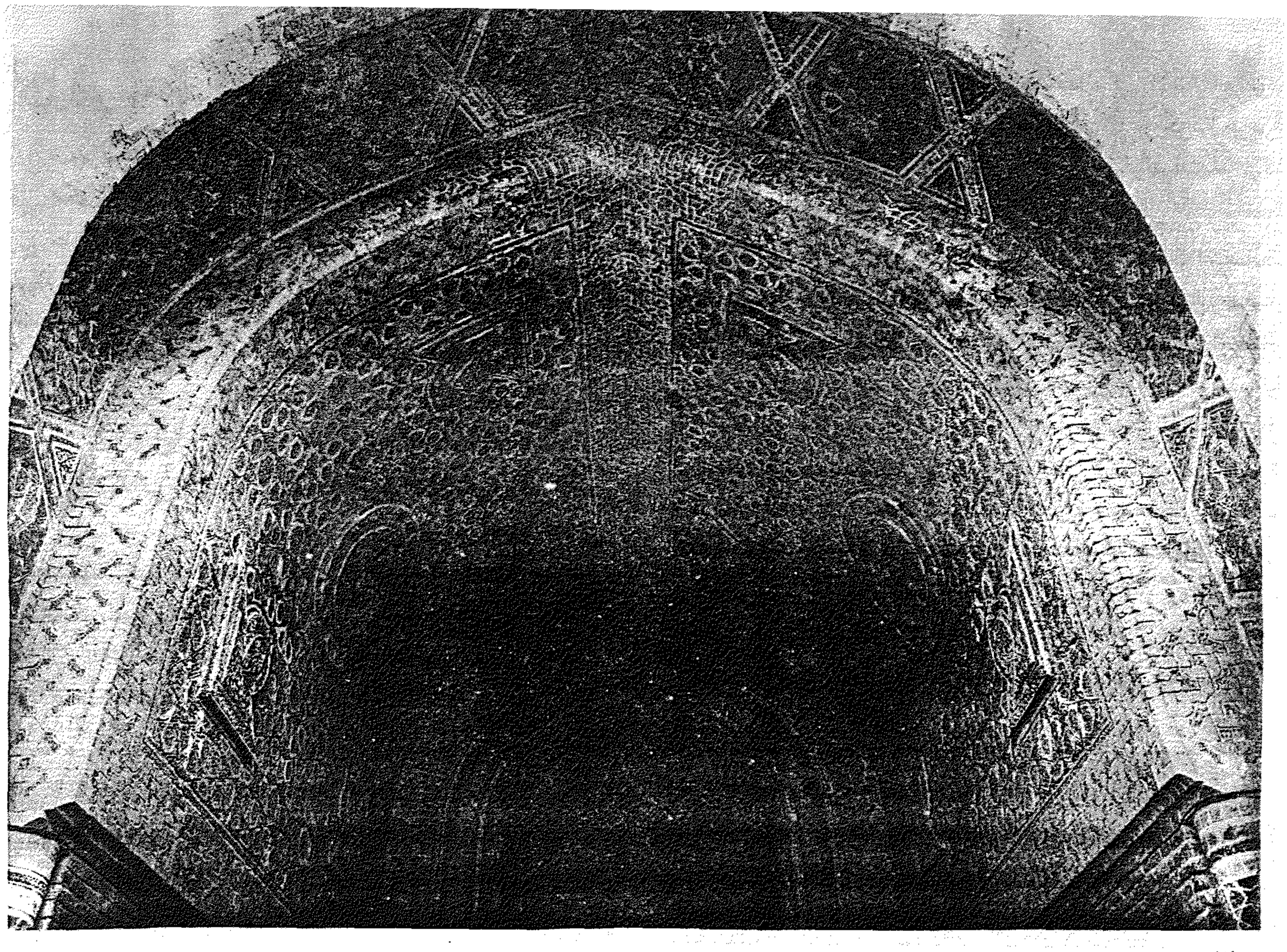

الأشكال والصور :

الشكل (١) – خارطة بغداد سنة ١٨٥٤ م لفيلكس جونس
الشكل (٢) – خارطة بغداد سنة ١٩٠٨ وضعهـا رشيد الخوجة
الشكل (٣) – صورة طغراء السلطان رشاد على قطعة نقد .
الشكل (٤)–مخطط بوابة السراي (ايوان السراي)
الشكل (٥) – زخرفة باطن قبو المدخل
الشكل (٦) – صورة لحنية من جدار القاعة الوسطية
الشكل (٧) – زخرفة الحنايا داخل القاعة الوسطية
الشكل (٨) – باطن قبة القاعة
الاشكال (٩)–(١٠)–(١١)–العقود والحنايا المدببة المطولة التي تضم المقرنصات والدلايات داخل القاعـة الوسطيـة .
الشكل (١٢) – النافذه الداخلية
الشكل (١٣) – صورة الواجهة الخارجية
الشكل (١٤) – صورة مقربة للواجهة
الشكل (١٥) – رسم طغراء السلطان رشاد الموضوعة على الواجهة
الشكل (١٦)–نماذج الزخارف الواجهة الشرقية
الشكل (١٧) – صورة الابواج الداخلية للمقشلة
الشكل (١٨) – برج ساعة المقشلة
الشكل (١٩) – مخطط الواجهة الجنوبية للمدرسة المستنصرية .
الشكل (٢٠) – صورة الواجهة الجنوبية للمدرسة المستنصرية .
الشكل (٢١) – زخرفة باطن ايوان المدرسة الشرابية (القصر العباسي).

المصادر

(١) الانسي : محمد علي الانسي : قاموس اللغة العثمانية .

(٢) البصري : الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي : مختصر مطالع السعود في أخبار الوالي داؤد . اختصره الشيخ امين الحلواني . القاهرة ، ١٣٧١ هـ

(٣) الحسني : عبدالرزاق الحسني – دليل المملكة العراقية سنة ١٩٣٦

(٤) كركوكلي : رسول حاوي كركوكلي – دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوواء ترجمة موسى كاظم نورس

(٥) كوك : ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام : ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد جزأين مع ملحق من وضع المترجمين .

(٦) معروف : ناجي معروف – طبوغرافية بغداد مجلة كلية الاداب ١٩٦١

(٧) نوار – د . عبدالعزيز سليمان نوار – داؤد باشا والي بغداد ١٩٦٨ .

(٨) عبادة – عبدالحميد عبادة – مخطوطة العقد اللامع . مخطوطة رقم ١٢٦ . المتحف العراقي .

(٩) العلاف–عبدالكريم العلاف–بغداد القديمة . ١٩٦٠

(١٠) العزاوي – عباس العزاوي – تاريخ العراق بين احتلالين ثمانية اجزاء

(١١) فائق – سليمان فائق – تاريخ المماليك الكولهمند في بغداد . ترجمة محمد نجيب ارمنازي . ١٩٦١

(١٢) فوك – رحلة فوك الى بغداد سنة ١٨٧٤ م – ترجمة عبود الشالجي . مجلة سومر ١٦ سنة ١٩٦٠

(١٣) الشهابي – يحيى الشهابي – معجم المصطلحات الاثرية – فرنسي عربي .

(1) BUCKINGHAM. (J.S.): TRAVELS IN MESOPOTAMIA. LONDON 1822.

(2) JONES. (J.F.): MEMOIRES BY COMMANDER JAMES FELIX JONES . BOMBAY 1857 MEMOIRG ON THE PROVINCE OF BAGHDAD

(3) THEVENOT. M. : VOYAGE AU LEVANT. 3 VOL. 1727.

الهوامش :

(١) ريجارد كوك : بغداد مدينة السلام . ترجمة فؤاد جميل ومصطفى جواد . جزءان ملحق الجزء الثاني . ص ٢٧٧ .

– عباس العزاوي : تاريخ العراق بين احتلالين ج ٤ ص ٢٠٣

(٢) ناجي معروف : طبوغرافية بغداد : مجلة كلية الآداب ، ١٩٦١ . ص ٥٢

– عباس العزاوي –المصدر السابق ، ج ٤ ص ٢٠٣

(٣) محمد علي الانسي : قاموس اللغة العثمانية المسمى الدراري اللامعات في منتخبات اللغات . ط . بيروت ١٣١٨ هـ . ص ٤٢٠ . قاشلاغ–قاشلامق : دخول الشتاء والتشتي .

(٤) كوك . بغداد ج٢ الملحق . ص . ٢٧٨

(٥) عباس العزاوي ، المصدر السابق ج ٥ ص ٢٠ : نقلاً عن كلشن خلفا . ص ٧٩

(٦) كوك . بغداد . ج ٢ ص ٤٧

(٧) M. THEVENOT: VOYAGE AU LEVANT. 3 VOL. 1727. VOL ii. P 209.

(٨) الكشك : الجوسق CHIOUSIQUE, KIOSQUE:

وهوبناء صغيريشاد وسط بستان أوعلى السطح للمتعة : أنظر :

يحيى الشهابي : معجم المصطلحات الاثرية . فرنسي عربي . ط١٩٦٧ . ص. ٢٢٧

(٩) رسول حاوي كركوكلي : دوحة الوزراء في تاريخ وقائع بغداد الزوراء . ترجمة موسى كاظم نورس . ص ٢١٩–٢٢١ . ط . بيروت .

(١٠) المصدر السابق . ص ٢١٩

(١١) J.S. BUCKINGHAM: TRAVELS IN MESOPOTAMIA. LONDON 1827 P. 191

(١٢) العزاوي . المصدر السابق . ج ٦ . ص ٢٦٨

(١٣) الشيخ عثمان بن سند البصري الوائلي : مختصر مطالع السعود في اخبار الوالي داود . ١١٨٠–١٢٥٠ هـ . اختصره الشيخ أمين بن حسن الحلواني . القاهرة . ١٣٧١ هـ ص ٢٤٢

– رسول كركوكلي : المصدر السابق . ص ٣٢٠

(١٤) كوك : بغداد ، ج ٢ ، ص ١٣٠

(١٥) د . عبدالعزيز سليمان نوار : داود باشا والي بغداد . ص ٣٠١ . ط . ١٩٦٨

(١٦) من هؤلاء الرحالة : هويدHUEDE ١٨١٧ ، وكيربورتر KERR PORTER ١٨١٧–١٨٢٠ ، وهوار HAURT ، وبكنغهام BUKINGHAM ١٨٢٧ وفريزر FRASER ١٨٣١ ، وويلستيد WELLESTED ١٨٤٠

(١٧) سليمان فائق : تاريخ المماليك الكولهمند في بغداد . ترجمة محمد نجيب ارمنازي ط . ١٩٦١ . ص ٥٤

(١٨) سليمان فائق : المصدر السابق ص ٥٩ .

(١٩) J.F JONES: MEMOIRES BY COMMANDER JAMES FELIX JONES. BOMBAY 1857 . TWO VOL. MEMOIR ON THE PROVINCE OF BAGDAD. VOL .I. P.303

(٢٠) انظر خارطة بغداد ، شكل رقم (١)

(٢١) انظر جداول لمجلات بغداد –المصدر السابق . ص ٣١٩– ٣٢٠

(٢٢) العزاوي . العراق بين احتلالين . ج ٧ ص ٨٩

(٢٣) عبدالكريم العلاف : بغداد القديمة منذ عهد الوالي مدحت باشا ١٢٨٦ هـ الى ١٣٣٥ هـ ، ١٨٦٩–١٩١٧ م . بغداد ١٩٦٠ . ص ١٢٧

(٢٤) عبدالرزاق الحسني –دليل المملكة العراقية . ١٩٣٦–ص ١٠٨

(٢٥) رحلة فوك الى بغداد سنة ١٨٧٤ م / ١٢٨٩ هـ . ترجمة عبو الشالجي . سومر ١٦ ١٩٦٠ . ص ١٣ .

(٢٦) عبدالحميد عبادة . العقد اللامع بآثار بغداد والمساجد والجوامع . مخطوطة رقم ١٢٦ ، مكتبة المتحف العراقي ، ص ١٠٣

(٢٧) يذكر الدكتور مصطفى جواد هذا القبر، كان هذا القبر جوار وزارة المعارف السابقة .... وان صاحبه ممن وصفته العامة بالأمام واظهر الاقوال انه مركو هرانين سحنة بغداد وتاريخ وفاته مذكور في المنتظم لابن الجوزي ج ٩ ص ١١٦ ، . انظر : كوك –بغداد–الجزء الثاني . الملحق بالترجمة . ص ٢٧٧

(٢٨) انظر الشكل رقم (٢) بغداد .

(٢٩) عبدالحميد عبادة . العقد اللامع . ص ١٠٣

(٣٠) الشكل رقم (٣)–طغراء السلطان رشاد .